الفنون النثرية في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف

المدرس الدكتور

قاسم كاظم محمد فزع

جامعة الفرات الأوسط التقنية – ٥١٠١٥ - المعهد التقني بابل

qas7245@yahoo.com
inp.qsm@atu.edu.iqi

The prose arts in the Book of the Extreme in every art

Eng. D. Qasim Kdum Mohammed Fazaa
Al-Furat Al-Awsat Technical University - 51015 - Babylon Technical Institute

الملخّص :

يدور البحث حول الفنون النثرية التي احتواها كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) لمؤلفه العلامة (شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي) ، وهومن مشاهير كتب الرقائق والأدب ، لما ضمنه المؤلف من كل فن ظريف، وفيه الاستدلال بآيات من القرآن الكريم وأحاديث شريفة وحكايات حسنة عن الأخيار، فضلاً عن لطائف عديدة من منتخبات الكتب المفيدة، وأودعه من الأمثال والنوادر الهزلية والغرائب والدقائق والأشعار والرقائق . وقد تقصيت فيه الفنون النثرية من أمثال الخطابة والأمثال والنوادر والرسائل والمواعظ .

الكلمات المفتاحية

(المستظرف - النثر– فن – الخطابة – الرسائل – الأمثال – النوادر – المواعظ)

Abstract:

The research revolves around the prose arts contained in the book (Extreme in every art) by the author (Shihab al-Din Mohammed bin Ahmed Abshihi), and is a famous books chips and literature, including the author of each art is funny, and infer the verses of the Koran and honest conversations and good stories As for the good guys, as well as many different groups of useful books, I say goodbyes, comics, oddities, minutes, poems and chips. It has investigated prose arts such as rhetoric, proverbs, anecdotes, letters and sermons.

Key words

(Extreme – prose - art - rhetoric – letters – proverbs – sermons- anecdotes)

أولاً : الكتاب:

يعد كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) من مشاهير كتب الرقائق والأدب، لما ضمنه المؤلف من كل فن ظريف، وفيه الاستدلال بآيات من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والحكايات الحسنة عن الأخيار، فضلاً عن لطائف عديدة من منتخبات الكتب المفيدة، وأودعه الأمثال ، والنوادر الهزلية ، والغرائب ، والدقائق ، والأشعار، والرقائق، مشتملاً على أبواب عدتها أربعة وثمانون بابا ، ضمنها المؤلف كل لطيفة بكل طريفة ، وقرت الأصول فيه بالفروع وجعل لأبوابه مقدمة، وفصلها في مواضعها مرتبة ومنظمة . يقول فيه (محمد إبراهيم سليم) محقق الكتاب : "الحق أقول : إن كتابا يضم أربعة وثمانين باباً، وفي كل باب فصول تحيط بشتى النواحي، وتلم ببعض الجوانب، فلا تترك شاردة ولا آبدة إلا ضمتها، وأحسنت عرضها واحتوتها. مثل هذا الكتاب جدير به أن يكون (كتاب الكتب) ومرجع التراث، وخزانة الأدب"[١] .

ويبدو الكتاب بأبوابه العديدة وموضوعاته المتنوعة كما لو أنه موسوعة كبرى تجلى فيها سعة العلم، وحضور الذهن، وحسن الاختيار، بما اشتملت عليه من فنون النثر والشعر .

وسنكتفي في هذا البحث- بدراسة الفنون النثرية التي احتواها الكتاب، وهي كثيرة متنوعة متشعبة، سنحاول تسليط الضوء عليها وعلى أنواعها .

ثانياً: المؤلف :

مؤلف الكتاب هو (شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي) وقد وردت ترجمته في المنجد، ومعجم المؤلفين والضوء اللامع وأعلام الزركلي، "الأبشيهي (٧٩٠-٨٥٢هـ) محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المحلي بها الدين أبو الفتح، صاحب (المستطرف في كل فن مستظرف) في الأدب والأخبار نسبته إلى (أبشويه) من قرى الغربية بمصر وكانت إقامته في (المحلة الكبرى) ورحل إلى القاهرة مراراً، وله غير المستطرف كتاب في (صناعة الترسل) لم يتمه، و (أطواق الازهار) في الوعظ مجلدان، (وتذكرة العارفين وتبصيرة المستبصرين)"[٢] .

لقد أتيح له أن يمارس الإمامة والخطابة في بلدته، وأن يتردد على القاهرة للتزود بنصيب وافر ممن عرفوا بالتقى والورع، وكان ممن تلقى العلم على أيديهم (جلال الدين

البلقيني) الذي حضر دروسه. ولقد عاصر ابن خلدون واطلع على مقدمته، ونقل عنها[٣] .

ثالثاً : منزلة النثر الفني في الأدب العربي:

كان لهيمنة الشعر على الحياة والأدب العربيين - ولا سيّما الأدب الرسمي - تأثير سلبي في الأجناس والفنون الأدبية الأخرى، قراءة وتلقيا؛ لهذا بهت حضورها، وضعف تأثيرها لمدة زمنية ليست بالقصيرة إلى درجة "أننا لا نكاد نجد اهتماما حقيقيا بجماليات النثر الفني على نحو ما تحقق للشعر"[٤]، فيما يؤكد (زكي مبارك) أنه قد كان للعرب في الجاهلية نثر فني له خصائصه وقيمته الأدبية، وإن الجاهليين لابد وأن يكونوا قد بلغو في ذلك المضمار شاناً بعيداً لا يقل عما وصل اليه الفرس واليونان في ذلك الوقت إلا أن ظروفاً مختلفة لم تساعد على بقاء هذا التراث الجاهلي[٥]، مثلما ساعد على بقاء الشعر؛ لسهولة حفظه لأن العرب آنذاك لم تعرف بعد التدوين. على حين يرى الدكتور طه حسين أن النثر الفني بمعنى إنه تعبير جميل رصين محكم يستدعي الرؤية والتفكير والإعداد، لا يتصور أن يكون موجوداً في العصر الجاهلي؛ إذ أن هذا اللون من النثر المنسوب إلى الجاهليين ليس إلا شيئاً منحولاً مدسوسا عليهم[٦] ويتحدث شوقي ضيف عن نشأة النثر الفني في الأدب العربي بقوله: " نحن لا نغلو هذا الغلو الذي جعل بعض المعاصرين يذهب إلى أن العرب عرفوا الكتابة الفنية أو النثر الفني منذ العصر الجاهلي، والحق إن ما تحت أيدينا من النصوص الوثيقة يجعلنا نقف في مرحلة وسطى بين الرأيين، فلا نتأخر بنشأة الكتابة الفنية عند العرب إلى العصر الجاهلي، بل نضعها في مكانها الصحيح الذي تؤيده المستندات والوثائق، وهو العصر الإسلامي"[٧] . ومهما تكن البداية فإننا ما أن نصل إلى القرن الثامن الهجري وهو القرن الذي ولد فيه الأبشيهي حتى نجد أن النثر قد أخذ مأخذاً كبيراً من فنون الأدب، فكُثر التأليف في فنونه وأحكامه حتى غدا الجنس الأكثر أهمية ربما حتى من الشعر نفسه، إلا أن الأدب عموماً والنثر على وجه الخصوص تعرض إلى كوارث الغزو يوم خرت بغداد صريعة تحت أقدام المخربين من التتار عام ٦٥٦ه فانبرى مجموعة من الأعلام إلى إعادة ذلك التراث وذلك المجد الأدبي الذي بني في دهور، وانهار في أيام، وكان الأبشيهي أحد هؤلاء الأعلام الذين بذلوا الجهد في التأليف والتصنيف فجاء كتابه(المستطرف في كل فن

مستظرف) ليضم مادة علمية أدبية ضخمة غزيرة وحسبنا من هذه الغزارة هي الفنون النثرية .

مما تنبغي الإشارة إليه أن القدامى أطلقوا على النثر مصطلحات كثيرة أبرزها: المنثور والكلام و الكتابة. وهي مصطلحات قد تبدو متباينة من حيث دلالاتها. إن المنثور يباين المنظوم ويخالفه لأن كل واحد منهما يشكل جنسا أو فنا مستقلا بذاته؛ يقول ابن خلدون: "وإنما المقصود منه ﴿بقصد الأدب﴾ عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب و مناحيهم"(٨) .

إن المنظوم و المنثور فنان تسمو قيمتهما، ويعلو شأنهما حسب ابن خلدون بشرط الإجادة. وهذه الإجادة هي ثمرة علم سماه ابن خلدون بـ(علم الأدب)؛ وتبعا لذلك فالشاعر والكاتب لا يجيدان إلا إذا كانا ملمين بذلك العلم.

وفي كتاب (البرهان) نجد تفريعا للمنثور الذي يضم أربعة أنواع نثرية، يقول صاحبه: "فأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة، أو ترسلا، أو احتجاجا، أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه"(٩)

إن الأجناس والفنون الأدبية تنبثق- في سياق تاريخي محدد- من تراكم التجارب الإنسانية ، والفنية وتفاعل الأشخاص مع محيطهم ، لتستجيب لحاجات نفسية واجتماعية وفنية. ولهذا كانـــت "مصداقية النوع تستمد من وظيفته ، التي تتجاوز في بعض الأحيان حدود الأدبي إلى ما هو تاريخي أو اجتماعي" (١٠)، لهذا فإن الحديث عن النثر في الأدب العربي يستوجب الالتزام بمجموعة من التحديدات حتى لا يظل حديثا ملتبسا بين ماهو أدبي وبين ما هو غير أدبي يدخل في حقول إنسانية مماثلة. وأن هذه التحديدات تتعلق بالأجناس النثرية وما ارتبط بها من مفهومات، وما تمخض عنها من أشكال وخصائص فنية، ومضامين متنوعة، وما طرأ عليها من تغييرات فرضتها سياقات التاريخ، أو ضرورات الفن، أو حاجات الإنسان .

أنواع الفنون النثرية التي تضمنها كتاب المستطرف :

يشكل النثر العربي القديم فناً أو جنساً أدبياً عاماً تتدرج تحته مجموعة من الأنواع والأصناف الأدبية، أو ما يسمى بالأجناس الفرعية: كالمقامة، والخطابة، والرسالة، والوصية، والحكمة، والمثل، والخبر. ورغم ما بين هذه الأجناس من اختلافات

وتمايزات، فإنها تتقاسم مجموعة من الخصائص التي تتعلق ببنائها وبمكوناتها اللغوية والشكلية والموضوعاتية. ونحن سوف نسلط الضوء على جميع الأجناس النثرية على وفق استقرائنا لها في كتاب المستطرف كالآتي:

المبحث الأول: الأمثال:

الأمثال فن بياني يقرب المراد إلى العقول، ويثبت المعاني في النفوس، ويرفع الغشاوة عن الحقائق "ويشتمل مضمونه على مقاصد شتّى تنفذ إلى أعماق الجوانب الإنسانية بعد أن يرسخ قوائمه في الأذهان، فيفصح المضمون عن معاني التقرير والترغيب والاعتبار والزجر والثواب والعقاب"(١١)، "وسمّي المثل بهذا الاسم لأنه "ماثل بخاطر الإنسان أبدا أي شاخص فيتأسى به، ويتعظ ويخشى ويرجو ويأمر ويزجر"(١٢). وقد نالت الأمثال في الأدب العربي مكانة مرموقة ومنزلة عالية ربما لا يضاهيها جنس أدبي آخر، "الأمثال، حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ به ما حاولت من حاجتها في المنطق بكتابة غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد ضربها النبي(ﷺ) وتمثل بها هو ومن بعده من السلف"(١٣) .

وقال الزمخشري: " الأمثال قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة والركن البديع إلي دراية اللّسان حيث أعجزت اللفظ وأشبعت المعنى وقصرت العبارة وأطالت المغزى ولوّحت فأغرقت في التّصريح وكنّت فأغنت عن التصريح"(١٤). ووفق هذه الأهمية والمنزلة الرفيعة التي احتلتها الأمثال في الأدب العربي قد تعامل الأبشيهي معها في كتابه المستطرف فخصّ لها بابا مستقلا مقسماً إياه على خمسة فصول:

الفصل الأول:

ما جاء من ذلك في القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم فقال الأبشيهي في مستهل حديثة عن هذا الفصل : "أعلم أن الأمثال من أشرف ما وصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه. وقد نطق كتاب الله- تعالى – وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها، ولم يخلُ كلام سيدنا رسول الله (ﷺ) عنها، وهو أفصح العرب لساناً وأكملهم بياناً"(١٥). ثم

راح يسرد لنا المؤلف من الأمثال التي ضمنها القران في كثير من آياته المباركات وهذه نبذة منها[١٦] .

قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران:٩٢ . وقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ الرحمن:٦٠ . وقوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ الروم:٣٢. وقوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ الغاشية: ٢١-٢٢. وقوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فصلت: ٤٦. وهكذا نجد أن الأبشيهي يستشهد بأكثر من خمسين آية مباركة جرت مجرى الأمثال، ومن اللافت للنظر أن كثيراً من الآيات المباركات التي جرت مجرى الأمثال يراد من المثل الذي تضمنته الآية الوصف والنعت كما في قوله تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ الفتح:٢٩.

ثم ينتقل المؤلف إلى إيراد الأمثال في الأحاديث النبوية الشريفة فيذكر أكثر من ثلاثين حديثاً، نذكر منها[١٧] (نية المرء خير من عمله). (آفة العلم النسيان). (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه). (اطلبوا الخير من حسان الوجوه). (الوحدة خير من جليس السوء). (استعينوا على الحوائج بالكتمان). (انتظار الفرج عبادة). (كاد الفقر أن يكون كفراً). (الإعمال بخواتيمها) .

الفصل الثاني: في أمثال العرب :

اتخذ العرب من الأمثال سبيلاً للمكاشفة عن روائع الأسرار اللغوية بما تتميز به الأمثال لديهم من سمو البلاغة وبديع البيان، فضلا عما تجتمع في الأمثال من سمات لا نجدها في غيره من الأجناس الأدبية : "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام:

إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة"[١٨]، ويورد الأبشيهي كثيراً من الأمثال العربية التي جرت في المجتمع العربي، نذكر منها[١٩] : (إن البلاء موكل بالمنطق). (أنف في السماء وإست في الماء). (الناس اخوان وشتى في الشيم). (أجع كلبك يتبعك). (استراح من لا عقل له). (سبق السيف العذل). (شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه). (عند الرهان تعرف السوابق). (عند الامتحان يكرم المرء أو يهان). (عند المنزلة تعرفُ أخاك). (مقتل الرجل بين فكيه) .

الفصل الثالث : في أمثال العامة والمولدين :

ومن الملاحظ في هذا الفصل إن المؤلف قد خصّ العامة والمولدين بأمثال تناسب مكانتهم الاجتماعية ومنزلتهم السياسية، وهذا التمييز لجأت اليه العرب من قبيل تمييز اللغة العربية التي لم يصبها اللحن من التي أصابها. ففي أمثال العامة والمولدين نجد أن مستوى اللغة يهبط ويغدو ركيكاً مقارنة بأمثال العرب السابقة، فضلاً عن المعاني التي تناسب وضعهم الاجتماعي والسياسي فنقرأ من تلك الأمثال في المستطرف[٢٠]: (التسلط على المماليك دناءة). (الحبة تدور وإلى الرحى ترجع). (الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ). (اطلع القرد في الكنيف فقال هذه المرأة لهذا الوجه الظريف). (خذ اللص قبل أن يأخذك). (فرّ من الموت وفي الموت وقع). (اللسان الجاهل مفتاح حتفه) . نلحظ ورود الألفاظ الركيكة التي تناسب العامة ، فضلا عن المعنى الذي تذهب إليه . إذ لا يتسنى للمتلقي الاطلاع على ألفاظ ومعان مماثلة في الشعر آنذاك ؛ لأن هذا الأخير كان يختص بالطبقات العليا من المجتمع .

الفصل الرابع : في الأمثال من الشعر مرتبة على حروف المعجم :

وفي هذا الفصل يورد المؤلف الأبيات الشعرية التي جرت مجرى الأمثال. فيذكر مائة وستة وستين بيتاً من الشعر مرتبة وفق الترتيب الهجائي بحروف اللغة العربية نستشهد منها[٢١]:

ألا كُـلُّ شـيءٍ مـا خَـلا اللّـهُ باطِـلُ ... وكـلُّ نعـيمٍ لا مَحالـةَ زائـــــــلُ

خليلـي إن الحـب صـعب مراسـه ... وإن عزيز القـوم فيـــه يـُـهان

لكـل امـرئ حـالان بـؤس ونعمـة ... وأعطفهـــم في النائبـــات أقاربـــه

يفـــرّ مـــن المنيّـــة كـــل حـــيّ ولا ينجـــى مـــن القـــدر الحـــذار

وهي أبيات مبعثرة في ثنايا الفصل تورد لوحدها من دون ذكر القصائد التي وردت فيها .

الفصل الخامس : في الأمثال السائرة بين الرجال والنساء :

استعان العرب بالأمثال من أجل أن يثبتوا المعاني في النفوس بأسلوب لغوي بليغ يتصف بالإيجاز، فأصبح المثل لديهم حكمة ونادرة ونصيحة يحمل بين ثناياها جوانب شتى من التراث الفكري والاجتماعي لأن المثل يحتفظ بصورته المنطوقة المرسلة، غرضه التنويه إلى العواقب المحمودة والمذمومة في حالة التعرض للأسباب المؤدية إلى تلك العواقب. يقول الزمخشري: "أصل المثل في كلام العرب معنى المثل وهو النظير"[٢٢] .

ولهذه الأهمية التي يستحوذ عليها المثل في التراث العربي فصّل المؤلف فيه وخصّه بهذا الإسهاب والتمييز، فنرى في هذا الفصل الأمثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة على وفق الترتيب الهجائي لحروف اللغة العربية، فأورد مئات الأمثال على ذلك، نذكر منها[٢٣]: (إذا أبغضك جارك حوّل باب دارك)، (أكل الدقة، والنوم في الأزقة، ولا دجاجة محمرة يعقبها مشقة)، (جور القط ولا عدل الفأر)، (دار الظالم خراب ولو بعد حين)، (زوج القصيرة يحسبها صغيرة)، (طبق وجارية على صحن بسارية)، (كأنه من طواحين الكشكار داير على رجل الغار)، (خطبوها تعززت وكان زمان البوار)، (فرحت حزينة خربت مدينة)، (ظريفة وعفيفة ولها نفس شريفة)، (يا غزالة الأقمار أين كنت بالنهار؟) .

حظيت الأمثال بهذا الاهتمام من لدن الأبشيهي ؛ لأنها تُعدّ من أكثر الأشكال التعبيرية الشعبية انتشارا وشيوعا، ولا تخلو منها أية ثقافة، إذ نجدها تعكس مشاعر الشعوب على اختلاف طبقاتها وانتماءاتها، وتجسد أفكارها وتصوراتها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ومعظم مظاهر حياتها، في صورة حية وفي دلالة إنسانية شاملة، فهي بذلك عصارة حكمة الشعوب وذاكرتها .وتتسم الأمثال بسرعة انتشارها وتداولها من جيل إلى جيل، وانتقالها من لغة إلى أخرى عبر الأزمنة والأمكنة، بالإضافة إلى إيجاز نصها وجمال لفظها وكثافة معانيها .

ولقد حظيت الأمثال الشعبية بعناية خاصة عند الكاتب ، وهو يعكس عناية الأدباء العرب بهذا الشكل التعبيري الذي كان له طابع مميز، نظرا للأهمية التي يكتسيها المثل في الثقافة العربية، فنجد ابن الأثير يشير إلى أهميتها وهو يحيط المتصدي لدراسة الأمثال علما أن "الحاجة إليها شديدة، وذلك أن العرب لم تصغ الأمثال إلا لأسباب أوجبتها وحوادث اقتضتها، فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء"[٢٤] . إذ أن الأمثال الشعبية مرآة صادقة لحكمة الشعب ومستودع للعادات والتقاليد، كما أنها تُعد خلاصة التجارب الإنسانية واختزال للخبرات الفردية والجماعية، وهي تصدر عمن أوتوا الحكمة والمعرفة الشعبية أو تتشكل بفعل التداول من خلال مواقف معينة وانسجامها مع الوجدان الشعبي .

المبحث الثاني: الرسائل

اشتق لفظ رسالة من المادة اللغوية (رَسَلَ) التي تدل على معان حسيّة كثيرة أفاضت أمهات المعاجم العربية الحديث عنها، وهي : "القطيع من شيء...القطيع من الإبل والغنم"[٢٥] ثم انتقل مفهوم لفظة (رسالة) من الاستعمال الحسي إلى الاستعمال المعنوي، بعدها تطور مفهومها من المجال اللغوي ليدل على كلام يراسل به من بعيد: "فأما الرسائل فهي مستغنية عن جهارة الصوت، وسلامة اللسان من العيوب، لأنها بالخط تنقل فتحتاج إلى أن يساعد حسنها حسن الخط"[٢٦] .

والرسائل تقاسمت النثر الفني في العصور القديمة مع الخطب، فإذا ما ذكر النثر، انصرفت الأذهان إليهما من دون غيرهما نظرا لما يتّسمان به من حضور متميز، وما يتبوآنه من منزلة رفيعة بين أجناس الأدب وفنونه، فضلاً عمّا اضطلعا به من أدوار ووظائف في الحياة الأدبية والاجتماعية والدينية والسياسية والإدارية. وهكذا يندرج ضمن هذا النثر الفني ما يصطلح عليه بـ"أدب الرسائل" الذي يشكل جنسا أدبيا قائما بذاته ؛ إذ تنضوي تحته أنواع الرسائل المختلفة أسلوبا وموضوعا، والمتنوعة غرضا ومقصدا، والمتفاوتة جمالا وتأثيرا. حتى غدت الرسالة صناعة ذات قواعد وأصول : "والترسيل -أعزك الله- مختلف باختلاف الأزمان ومنوع على أنواع حسان بوبتها أبواباً واخترعت لها ألقاباً لتكون بها موسومة ولمن يطلب حقيقة البيان مرسومة.."[٢٧]، وهكذا غدت الرسالة صناعة وفناً لها شروطها وقواعدها التي يجب الالتزام بها. وهي

بتطورها والأهمية التي نالتها تشعبت موضوعاتها وتنوعت أقسامها، ويمكن اجمال أنواعها:(٢٨)

١. الرسائل الديوانية (السياسية): وهي التي تعالج أمور الدولة وتصدر عن الدواوين الرسمية، سواء أكان ما تتبادله الدول حول علاقاتها المختلفة أم ما تتبادله الوزارات والمؤسسات داخل تلك الدولة .

٢. الرسائل الشخصية : وهي التي يتبادلها الناس فيما بينهم لأغراض وموضوعات ذاتية أو شخصية أو اخوانية، وللمناسبات كافة .

٣. الرسائل الأدبية : وهي التي تعرض لفكرة معينة أو تعبر عن شعور الكاتب تجاه موقف معين محملة برؤيته الأدبية والعلمية .

وقد تناول الأبشيهي الرسائل وذكرها في كتابه المستطرف، وهو وإن لم يخص لها باباً أو فصلاً إنما كان كثير الاستشهاد بها على أنواعها فنجدها مبثوثة في ثنايا الكتاب وصفحاته. نذكر منها: " وحُكيَ أن المأمون ولّى عاملاً على بلاد، وكان يعرف منه الجور في حكمه، فأرسل إليه رجلاً من أرباب دولته ليمتحنه.....فكتب كتاباً فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين: أما بعد، فقد قدمنا على فلان، فوجدناه آخذاً بالعزم، عاملاً بالحزم، قد عدل بين رعيته، وساوى في أقضيته، أغنى المقاصد، وأرضى الوارد، وأنزلهم منه منازل الأولاد، وأذهب ما بينهم من الضغائن والأحقاد، وعمر منهم المساجد الدائرة، وأفرغهم من عمل الدنيا، وشغلهم بعمل الآخرة، وهم مع ذلك داعون لأمير المؤمنين يريدون النظر إلى وجهه والسلام"(٢٩) .

فهي رسالة ديوانية أرسلها مبعوث الخليفة اليه، ليبين حال عامله في إحدى البلاد وتعامله مع الرعية. وهي بعد ذلك لا تختلف عن الرسائل في ذلك الوقت بما تمتاز به من سمات بلاغية وأسلوبية كالسجع والجناس والطباق والمجاز والاستعارة والإيجاز .

وفي رسالة أخرى يوردها الأبشيهي في كتابه: "وكتب معاوية إلى عقيل بن أبي طالب يعتذر إليه من شيء جرى بينهما يقول : من معاوية بن أبي سفيان إلى عقيل بن أبي طالب، أما بعد: يا بني عبد المطلب فأنتم والله فروع قصي ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فأين أخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية؟ وقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله إلى أن يغيب في الثرى. فكتب إليه عقيل يقول:

صـدقت وقلـت حقـاً غـير أنـي أرى أن لا أراك ولا ترانـــــــــي

ولسـت أقـول سـوءاً في صـديقي ولكـــني أصـــد إذا جفـــاني[٣٠]

فهي رسالة اخوانية موضوعها العتاب، استهلها المرسل بأسلوب المنادى وهو من صيغ الطلب التي غالباً ما يلجأ اليها من يتودد إلى المرسل اليه طالباً المقربة منه والتواصل، فضلاً عن استخدامه للقسم مرتين رغم قصر الرسالة وإيجازها إضافة إلى الأساليب الأخرى (السجع، والطباق) كما في قوله: (ما كان جرى... وفي الثرى). ونرى أن المرسل اليه اكتفى بيتين من الشعر رداً على الرسالة، وهو أسلوب متبع في ذلك الوقت .

ومن الرسائل ما كانت تلازم الهدية إذا عمد أحد في إهداء شيء إلى آخر فغالباً ما يعقب الهدية رسالة إخوانية شخصية، كما في هذه الرسالة التي ذكرها المؤلف في كتابه: " وأهدى رجل إلى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها إن الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع"[٣١]. وغالباً ما يلجأ كاتب الرسالة إلى اختيار الألفاظ التي تساعده على إظهار فكرته وتجميل صورها، وصياغتها في تراكيب صحيحة حتى يكون الناتج صوراً معقولة تحولت إلى صور محسوسة بواسطة القلم، وحينما تتشخص الصورة في خيال الكتاب يتخير منها رفيع المستوى وينتخب الصور التي تستثير الإحساس .

لنتفحّص هذه الرسالة التي أوردها الأبشيهي في المستطرف : "وكتب بعضهم إلى صديق له يعزيه بأخيه، ويسليه: ما تصنع يا أخي و القضاءُ نازلٌ، و الموت حكمٌ شاملٌ. وإن لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الأمر. وأنت تعلم أن نوائب الدهر لا تُدفعُ إلا بعزائم الصبر. فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجباً من فضلك، و حاجزاً من عقلك، و دافعاً من دينك، ومانعاً من يقينك، فإن المحن إذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح إذا لم تقابل بالشكر. فصبراً صبراً، ففُحول الرجال لا تستفزُّها الأيام بخُطُوبِها، كما أن مُتُونَ الجبال لا تهزّها العواصف بهُبُوبها، فعزيز علي أن أخاطب مولاي معزياً وأكاتبه مسلياً عن كبير وصغير، مما يتعلق بخدمته، أو ينتمي إلى جملته،

فكيف بالصنو الأكرم والذخر الأعظم، والركن الأشد، والسهم الأسد، والشهاب الاسطع، والحسام الاقطع...."[٣٢] .

فالرسالة إخوانية وموضوعها التعزية، وحينما نقرأها يتضح لنا أن الكاتب جعل من إحساسه مستولياً على قلبه وفكره مقلباً إياه على جميع الأوجه الممكنة. تتفاوت لديه الصورة ليستميل قلب المرسل اليه فيوقع الصبر والخلد فيه . وأيضاً فان المرسل ابتعد عن حشو الكلام وتطويل الجمل بل جعل عباراته قصيرة وافية الدلالة على المقصود مباشرة. وهي من سمات ومميزات الرسالة الجيدة والسليمة .

ومن الجدير بالذكر، إن الغرض يكسب الرسالة سمات خاصة (شكلية أو أسلوبية ودلالية ووظيفية) تتعلق بحجم الرسالة من حيث الطول أو القصر، وبنوعية الجمل والاستشهادات، وبوسائل الإبلاغ من حيث التلقين أو الإقناع . فغرض الرسالة السابقة- وهو التعزية- جعل من المرسل يطيل في الرسالة، محاولاً اقناع المرسل اليه ومواسياً له على المصاب الجلل الذي أصيب به، على حين أن موضوعاً وغرضاً آخر لا يستوجب هذه الإطالة، فمثلاً إن أراد سلطان شيئاً محدداً من أحد عماله يوجز في رسالته فلا تتعدى الألفاظ التي تدل على الطلب، من هذه الرسائل التي أرسلها عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف الثقفي طالباً منه تزويده بثلاث جواري "بسم الله الرحمن الرحيم، من عند عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف. أما بعد : إذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته، فسيّر لي ثلاث جواري مولدات أبكاراً يكون إليهن المنتهى في الجمال، واكتب لي بصفة كل جارية منهن، ومبلغ ثمنها من المال"[٣٣] . فترى أن الرسالة وهي ديوانية، تخلو من الأساليب البلاغية المتبعة وموجزة الغرض منها طلب شيء من المرسل اليه، فلم يتفنن المرسل بأساليب البلاغة وكانت ألفاظه واضحة المعاني ظاهرة المقصد . فإذن غرض الرسالة يحدد طبيعتها.

المبحث الثالث: الخطابة

تعريف الخطابة:

لغة : الخطابة، مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب، يخطب، خطابة ، والخَطْبُ : الشّأنُ والحال ؛ ومنه قولهم : جَلّ الخَطْبُ أي : عَظُمَ الأمرُ، و الخَطْبُ: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة[٣٤] .

واصطلاحاً: فقد عرفت تعريفات كثيرة، منها : تعريف أرسطو: "بأنه القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسالة من المسائل"(٣٥) .

وعرفها ابن رشد بأنها: "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة"(٣٦) .

وعرفها بعض المحدثين بأنها: "نوع من فنون الكلام غايته إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيهم بصواب قضية أو بخطأ أخرى"(٣٧).

وعلى كل حال، فإن الخطابة فن قديم من فنون الأدب العربي، ظهر في العصر الجاهلي، نتيجة حاجة اجتماعية، ثم عرف بعض التطور في صدر الإسلام بظهور الدين الإسلامي وحاجته إلى إقناع الناس بمبادئه، فظهر عندها نوع جديد من الخطابة سمي بالخطابة الدينية، ثم تطور الفن في العصر الأموي واتسع موضوع الخطابة ليشمل السياسة نتيجة تطور النظام السياسي وتفرقة المسلمين إلى أحزاب وشيع فلجأ العاملون في النظام السياسي إلى اتخاذ الخطابة وسيلة للإقناع وميل المجتمع إلى اتجاهاتهم .

مواصفات الخطيب :

وما دامت الخطابة فن الإقناع، فإنها تطلبت سمات ومميزات لا بد من أن يتحلى بها الخطيب الناجح، منها :(٣٨)

١- أن تكون مخارج الحروف لديه سالمة من العيوب.
٢- أن يكون صوته جاهراً يمكنه من إسماع جميع الحاضرين.
٣- أن يكون على علم ودراية بنفسيات المستمعين لمخاطبتهم بما يناسبهم.
٤- أن يكون حسن المظهر، بحيث يحظى باحترام الناس وتقديرهم.
٥- أن يكون صوته حسب الموضوع وحسب نوع الخطابة.
٦- أن يكون جريئاً في مواجهة الناس، وإبراز تعابير الوجه، واستخدام الإشارات اللازمة باليد وغيرها، وتوجيه الخطاب للجميع وتوزيع النظرات في جميع الاتجاهات.

عناصر الخطابة:

على الخطيب أن يراعي تنظيم أجزاء خطبته واحكام ترتيبها، وربط بعضها ببعض، وتقديمها بطريقة منظمة تعين المتلقي على فهم مضمون الخطابة .

ولا يتيسّر له ذلك إلا بتخطيطها قبل إلقائها، إما باختزال أفكارها في نقاط وإما بعبارات قصيرة تعينه في ترتيب أجزاء خطبته، وتحول دون نسيانه لجانب منها، وإما بتسجيل أفكارها في جمل كاملة[٣٩] .

وأهمّ أجزاء الخطابة هي :

١- المقدمة :

وهي التي يبدأ بها الخطيب، ويجعلها في صدر خطبته؛ تهيئة لأذهان الحضور لسماع خطبته، وجذباً لانتباههم، وإثارة حماستهم، وإعدادهم للاقتناع بما يدعو إليه في خطبته. ويتوقَّف قدر كبير من نجاح الخطيب على حسن ابتدائه، وبراعة استهلاله، وقدرته على جذب انتباه سامعيه . ولا يتحقق كل هذا إلا أن تتسم المقدمة بصفات تؤهلها لذلك، ومن أهمها :

- أن تكون متصلة بالموضوع ممهدة له.
- أن تكون مشوقة تجذب السامعين إلى موضوع الخطابة.
- أن تتناسب الخطبة طولاً وقصراً.

ولا يلتزم الخطباء بطريقة معيَّنة في مقدماتهم، فلكل خطيب أسلوبه الخاص به، بل يتنوَّع أسلوب الخطيب الواحد، ويختلف باختلاف الموضوع أو الموقف، ومن بين هذه الطرق:[٤٠]

- يستحب الاستهلال بحمد الله وثنائه.
- الإشارة إلى موضوع الخطبة، والتنبيه إلى القصد منها.
- أن يفتتح خطبته بإثارة فضول المستمعين.
- الابتداء بآية كريمة، أو حديث نبوي شريف، أو حكمة، أو بيت شعري.

٢- العرض :

يقوم الخطيب بعرض موضوع الخطبة بعد المقدمة مباشرة، وفيه يبيِّن ما يريد أن يتحدث عنه، أو يدعو إليه، ويشرح دعوته. إن العرض هو صلب الخطبة ويحسن أن يتسم بما يأتي :

- الوحدة الموضوعية، بأن يحصر الخطيب حديثه في موضوع واحد، أو قضية واحدة.

- ترتيب العناصر وترابطها: بأن يرتبّها منطقياً، والتدرج بالعرض من الأهم فالمهم.
- الوضوح التام في المقاصد والغايات.
- التدليل والاستشهاد على الأفكار وصحة الآراء.
- الإكثار من أساليب الإثارة والتشويق.

٣- الخاتمة :

هي الجزء الأخير من الخطبة، ويعتني بها الخطباء عناية فائقة؛ لأنَّها آخر ما يعلق في أذهان السامعين من الخطبة، ولما تتركه من أثر واضح في نفوس المستمعين فتحرك عواطفهم وتركز مشاعرهم .

وتشتمل الخاتمة ـ غالباً ـ على موجز آراء الخطيب التي وردت في خطبته، أو توضيح دقيق لغايته ومرماه من موضوع الخطبة، ويورد ذلك بأساليب مختلفة ومغايرة عما جاء في العرض. ويفضل أن تكون الخاتمة قصيرة لينتهي المستمعون وهم في ميل إلى الاستزادة.

وللمنزلة التي تحتلها الخطابة في فنون الكلام، فقد خص الأبشيهي لها باباً في كتابه (المستطرف)، هو الباب التاسع الذي وسمه بعنوان (في ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الأمجاد)[٤١]، وذكر فيه نتفاً من خطبة للمأمون وخطبة للإمام علي(عليه السلام) وخطبة للحجاج بن يوسف. وسنقف عند خطبة الإمام علي (عليه السلام)، يقول الأبشيهي :

" خطب علي (ر.ض) فقال في خطبته: عِبَادَ اللَّه الْمَوْتَ الْمَوْتَ لَيْسَ مِنْهُ فَوْتٌ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، فَالنَّجَا النَّجَا، الْوَحَى الْوَحَى، فإن وَرَاءَكُمْ طَالِباً حَثِيثاً وهو الْقَبْرُ، احْذَرُوا ضَنْكَهُ وَظُلْمَتَهُ وَضِيقَهُ، أَلا إِنَّ الْقَبْرَ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ جَهَنَّمَ، أَوْ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَلا وَإِنَّهُ يَتَكَلَّمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلاثَ كلمات، وَيَقُولُ : أَنَا بَيْتُ الظُّلْمَةِ، أَنَا بَيْتُ الْوَحْشَةِ، أَنَا بَيْتُ الديدان، أَلا وَإِنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يوماً أَشَدَّ مِنْه يَوْماً، يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير. أَلا وَإِنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَشَدَّ مِنْه فيه نار تتسعر، حرها شديد، وَقَعْرُهَا بعيد، وحليها حديد، وماؤها صديد، لَيْسَ لِلَّهِ فِيهَا رَحْمَةٌ... إلا إِنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ اليوم جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ

أُعِـدَّتْ لِلْمُـتَّقِينَ، أدخلنـا الله وايـاكم دار النعـيم وأَجَارَنَـا اللَّـهُ وَإِيَّـاكُمْ مِـنَ الْعَـذَابِ الأَلِيمِ "[٤٢].

نوع الخطبة، دينية، موضوعها، ارشاد وتوجيه العباد . نرى أن الإمام وهو سيد البلغاء بعد النبي المصطفى (ﷺ)، قد حرص على سبك خطبته وبنائها على وفق معاييرها الأصولية. فجاءت متضمنة مقدمة وعرض وخاتمة. وقد وازن بين عناصرها بحيث كل عنصر أدى دوره بشكل سليم . فالمقدمة التي لم يذكر الراوي جزأها الأول، وهو البسملة وحمد الله وشكره، وهو المتبع في الكتب والمصادر القديمة، فقد ابتدأها الإمام بعبارة (عباد الله) وهو أسلوب النداء، محذوف منه حرف النداء ، وهو أسلوب يسترعي انتباه السامعين واستثارة مشاعرهم، ثم أعقبها بعبارة (الموت الموت) وما لهذه اللفظة من تأثير في المستمع وسيطرة على جل انتباهه وهي بعد ذلك جاءت مناسبة جداً لموضوع الخطبة في التوجيه والإرشاد. بعدها ينتقل إلى عرض الموضوع، رابطاً إياه بالمقدمة بأحسن ما تكون فيه الصلة والتحول من عنصر إلى آخر بعبارة (ليس منه فوت)، فلا يشعر قارئ فضلاً عن مستمع هذه الخطبة أن هناك شرخاً أو تنافراً بين مقدمتها وعرض موضوعها . (عبادَ الله، الموت الموت، ليس منه فوت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم) وأسلوب الشرط الذي استعمله الإمام في بداية موضوعه، يناسب جداً عرض الخطبة مثلما ناسب أسلوب النداء مقدمتها. وهو دلالة على قوة سبك الخطبة لغة ومعنى. ثم راح الخطيب يعرض موضوعه بأسلوب الأديب المتمكن والمتدين الزاهد موازياً بين اللفظ والمعنى ، فجاءت خطبته موفورة المحصول من مختلف أساليب البيان. والتنقل بين الإنشائية والخبرية. ووضوح المعاني من خلال قصر الجمل وإيجازها (إلا وإن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث كلمات، فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الديدان...) فالعبارات على إيجازها تحمل من المعاني الكبيرة والموعظة الموجهة ما يجعل الخطبة مؤثرة بشكل كبير في مشاعر المستمعين وقادرة على تهيئة الأجواء المناسبة لإقناعهم بما يريد الإمام (عليه السلام) وهو غرض الخطبة وهدفها .

ثم بعد ذلك، ينتقل الإمام إلى ختام الخطبة رابطاً بين عرضها وخاتمتها بأسلوب مناسب ، فيختم خطبته بأسلوب الدعاء كما في قوله: (أدخلنا الله وإيّاكم دار النعيم، وأجارنا وإيّاكم من العذاب الأليم) فنجد فيها توضيحا دقيقا لغاية خطبته بأسلوب

جديد عن أساليب الخطبة في مقدمتها وعرضها ، وجاءت قصيرة ومؤثرة في نفوس المستمعين.

وفي كتاب (المستطرف) خطب متناثرة في متنه، متنوعة بين الخطب الدينية والسياسية والاجتماعية. فمن خطبة أخرى ذكرها الأبشيهي في كتابه: خطبة لمحمد بن عبد الملك خطبها في مجلس المأمون جاء فيها: " الحمد لله رب العالمين ولا إله إلا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد خاتم النبيين، ونستمنع الله لحياطة ديننا ودنيانا، ورعاية أدنانا وأقصانا، ببقاتك يا أمير المؤمنين، ونسال الله أن يمد في عمرك من أعمارنا وأن يقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا، فإن الحق لا تعفو آثاره، ولا ينهدم منارة، ولا ينبت حبله، ولا يزول، بين الله وبين عباده، والأمين على بلاده، يا أمير المؤمنين هذا المقام مقامُ العائذ بظلك الهارب إلى كنفك الفقير إلى رحمتك وعدلك من تعاور النوائب، وسهام المصائب، وكلب الدهر، وذهاب النعمة، وفي نظر أمير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب ويبرد غليل القلوب، وقد نفذ أمر أمير المؤمنين في الضياع التي أفدناها نعم آبائه الطيبين، ونوافل أسلافه الطاهرين الراشدين، وقد قمتُ مقامي هذا متوسلاً إليك بآبائك الطيبين وبالرشيد خير الهداة الراشدين، والمهدي ناصر المسلمين، والمنصور منكل الظالمين، ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبيين مزدلفاً إليك بالطاعة التي أفرع عليها غصني، واحتنكت بها سني، وريش بها جناحي... يا أمير المؤمنين انه لا عفو أعظم من عفو إمام قادر عن مذنب عاثر، وقد قال الله –جل ثناؤه وتعالت قدرته-..﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿النور:٢٢﴾. أحاط الله أمير المؤمنين بستره الوافي ومنعه الكافي" (٤٣) .

إن كانت الخطبة فن الإقناع، فإن هذه الخطبة بما حوته من أساليب لغوية متنوعة وصيغ بلاغية قوية، ومعاني مؤثرة قد أتت أكلها، واستطاع الخطيب بحسن كلامه أن يقنع المأمون بمطلبه وحصوله على ما لم يطمح اليه : "فاستحسن المأمون كلامه، وأمر له بالحلل الفاخرة، والجوائز السنية، وأمر برد ضياعه، وقرب منزلته، وأدناه، ودفع اليه من المال ما أغناه"(٤٤)

هذا وقد حوى كتاب (المستطرف) على خطب عديدة متنوعة لا يسع المجال إلى ذكرها جميعاً، مكتفياً بالإحالة إلى الكتاب لمن رغب الاطلاع عليها[٤٥] .

المبحث الرابع: النوادر

النادرة خبر قصير يشبه الحكاية المضمرة ، وهو نوع من أنواع الفكاهة. ومن الفكاهة : السخرية والمزاح والهزء والتهكم والهزل والنكتة والهجاء وحسن الجواب والدعاية وغير ذلك .

والنادرة في التراث العربي قديمة جداً، وهي في العموم ترد مكتوبة وتشيع في بيئة تتسم بالرخاء والترف والاستقرار والقوة، ولذلك تراها قد انتشرت في العصر العباسي لما حلّ بالمجتمع من استقرار ورخاء وترف .

لا يكاد يخلو كتاب من كتب التراث في الأدب والتاريخ والأخبار، وغيرها من حكم وطرف، تتخلل صفحات الكتاب، فكتب الجاحظ وأبي الفرج الاصبهاني وأبي حيان التوحيدي ، فضلا عن (المستطرف في كل فن مستظرف)- موضوع الدراسة- وغيرها من الكتب، تذكر كثيراً من النوادر والطرائف في ثناياها، وإن هناك من الكتب قد صنفت لمثل هذا اللون من الفن كما في كتاب (الحمقى والمغفلين) لابن الجوزي و (الأذكياء) و (البخلاء) للجاحظ و (جمع الجواهر) للمصري القيرواني. وهذا يدل على استشراء هذا الجنس الأدبي حتى تصدى لجمعه المؤلفون فيخصصون له الكتب المستقلة أو أجزاء من كتبهم[٤٦] .

وللنوادر والطرائف أهمية ووظائف أخرى، من بينها:[٤٧]

- إظهار الفوارق الطبقية، والسخرية من واقع ما لنقده وإصلاحه .
- تهذيب النفس والحثّ على الأخلاق الحميدة .
- مهمة النقد السياسي والديني والأدبي، مع الإشارة إلى غلبة الجانب الطبقي، لاسيما موضوع الفقر .
- تسلية القارئ ودفع الملل عنه .

ونظراً لأهمية هذا الجنس الأدبي، نرى أن الأبشيهي قد خصّ له باباً في كتابه (المستطرف) هو الباب السادس والسبعون، وقسمه على عشرة فصول، كالآتي :

الفصل الأول: في نوادر العرب/

وذكر المؤلف في هذا الفصل تسع نوادر مختلفة، نذكر منها : "ورؤي أعرابي يغطس في البحر، ومعه خيط، وكلما غطس غطسة عقد عقدة، فقيل له: ما هذا؟ قال: جنابات الشتاء أقضيها في الصيف"(٤٨) .

والنوادر في هذا الفصل خصها المؤلف بالحكايات حول الأعراب وسلوكهم الغريب الذي ينم إما عن سخط وإما عن غباء، فلننظر إلى هذه النادرة: "وسرق أعرابي صرة فيها دراهم، ثم دخل المسجد يصلي، وكان اسمه موسى، فقرأ الإمام:﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ ﴿طه:١٧﴾، فقال الأعرابي : والله إنك لساحر ثم رمى الصرة وخرج"(٤٩)، فهذه النادرة، ساقها الراوي لتدل على غباء ذلك الأعرابي الذي ظن أن الإمام يعنيه حينما قرأ تلك الآية المباركة .

الفصل الثاني: في نوادر القراء والفقهاء/

وفي هذا الفصل يورد الأبشيهي سبعاً من النوادر الطريفة حول القراء والفقهاء، نكتفي بواحدة منها : " وسكن بعض الفقهاء في بيت سقفه يقرقع في كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الأجرة فقال له : أصلح السقف فإنه يقرقع قال : لا تخف فإنه يسبح الله تعالى قال : أخشى أن تدركه رقة فيسجد"(٥٠) . ومثل هذه النوادر تعكس ما للفقهاء من روح الدعابة والمزحة ، فضلا عن السخرية من آراء الآخرين وسلوكهم .

الفصل الثالث: في نوادر القضاة/

وفي هذا الفصل خمس نوادر عن القضاة، نذكر واحدة منها: "رفعت امرأة زوجها إلى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي يا سيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي إني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وإن الجمل يطأطئ برأسه ليشرب من البحر، فإذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف. فلما سمع القاضي ذلك بال في مكانه وثيابه وقال: يا هذه، أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الأمر عيانا؟"(٥١) .

الفصل الرابع: في نوادر النحاة/

ويورد المؤلف خمساً من النوادر عن النحاة، نذكر منها : " جاء نحوي يعود مريضاً ، فطرق بابه، فخرج إليه ولده، فقال : كيف وجدت أباك ؟ قال : يا عم ورمت رجليه قال : لا تلحن، قل : رجلاه، ثم ماذا ؟ قال : وصل الورم إلى ركبتاه، قال : لا تلحن، قل : إلى ركبتيه، ثم ماذا ؟ قال : مات، وأدخله الله في بظر ﴿نتوء في وسط الشفة العليا﴾ عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه"(٥٢) .

ومن الملاحظ على النوادر، أن لغتها سهلة، وتتخللها أحياناً ألفاظ عامية. ولا يجتهد المؤلف فيها إلى سبك لغته، بل يطلقها مسترسلة تخلو من التعقيد، وحتى من الأساليب البيانية والبلاغية .

الفصل الخامس: في نوادر المعلمين/

ويروي المؤلف ست نوادر فيه عن طبقة المعلمين، وهي نوادر طريفة تكشف لنا سلوك طبقة من طبقات المجتمع بأسلوب متهكم ساخر .

الفصل السادس: في نوادر المتنبئين/

وفيه يذكر الأبشيهي إحدى عشرة نادرة، نورد منها: "وتنبأ آخر في زمن المأمون، فقال المأمون: أريد منك بطيخا في هذه الساعة، قال: أمهلني ثلاثة أيام، قال: ما أريده إلا الساعة، قال: ما أنصفتني يا أمير المؤمنين إذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ما يخرجه إلا في ثلاثة أشهر، فما تصبر أنت علي ثلاثة أيام. فضحك منه ووصله"(٥٣) .

الفصل السابع: في نوادر السؤال/

وفيه أربع نوادر .

الفصل الثامن: في نوادر المؤذنين/

وفيه نادرتان .

الفصل التاسع: في نوادر النواتية*/

وفيه نادرة واحدة في النواتية الذين يتحدثون بلغة غريبة غير مفهومة .

الفصل العاشر: في نوادر جامعة/

وفيه عشر نوادر متنوعة .

على أن الإبشيهي لم يكتفِ بهذا الباب وما خصه فيه عن النوادر فحسب، بل إنه ذكر نوادر كثيرة في متفرقات كتابه، نذكر منها على سبيل المثال: " حُكي أن أحمقيْنِ اصطحبا في طريق، فقال أحدهما للآخر: تعالَ نتمنَّ على الله، فإنَّ الطريقَ تُقطعُ بالحديث.فقال أحدُهما: أنا أتمنّى قطائع غنم أنتفعُ بلبنِها ولحمها وصوفِها. وقال الآخر: أنا أتمنّى قطائعَ ذئابٍ أرسلُها على غَنمِكَ حتى لا تتركَ منها شيئاً.قال: ويحكَ! أهذا من حقِّ الصحبةِ وحُرمة العشرةِ؟! فتصايَحا وتَخَاصَما، واشتدّت الخصومةُ بينهما حتى تماسكا بالأطواق، ثمَّ تراضَيَا أنَّ أولَ منْ يطلعُ عليهما يكونُ حكَماً بيْنهما، فطلع عليهما شيخٌ بحمارٍ عليهِ زقَّانِ منْ عسل، فحدّثاه بحديثِهما، فنزل بالزّقّين وفتحهما حتى سال العسل على التراب، وقال:صَبَّ اللهُ دمي مثلَ هذا العسلِ إنْ لمْ تكونا أحمقين"(٥٤) .

وليست النوادر ما تحمل من الأحداث الفكاهية المرحة فحسب ، بل أن بعضها يحمل حدثاً غرائبياً خارج عن تصورات العقل الإنساني، كما في الحوادث والحوار الذي يجري على ألسنة الحيوانات ونجد لهذا اللون من الجنس الأدبي انعكاساً في التراث العربي القديم كما في كتاب "كليلة ودمنة" لعبد الله بن المقفع. وقد أورد الإبشيهي بعضاً من هذه النوادر في كتابه "المستطرف" كما في هذه النادرة: "وقيل التقطت الأرنب تمرة فاختلسها الثعلب، فأكلها فانطلقا يتخاصمان إلى الضبّ فقالت الأرنب، يا أبا حسل. فقال: سميعا دعوت، قالت: أتيناك لنختصم، قال: عادلا وحكمتما، قالت: فاخرج إلينا، قال: في بيته يؤتى الحكم، قالت: إني وجدت تمرة حلوة، قال: فكليها، قالت: اختلسها الثعلب. قال: لنفسه بغى الخير، قالت: فلطمته، قال: بحقك أخذت، قالت: فلطمني، قال: اقتص، قالت: فاقض بيننا، قال: قد قضيت فذهبت أقواله أمثالا"(٥٥).

وهكذا نجد أن النادرة غالباً ما تأتي سهلة مستساغة ممزوجة، ومكسوة بمسحة من الفكاهة الضاحكة، ولكنها دائماً تأتي بدرس أو عظة، وتكمن أهميتها –فضلا عن ذلك– في تركيزها وتكثيفها وإيحاءاتها، وعندما نمعن النظر في النوادر السابقة وغيرها نجد

أنها تلخص تجارب إنسانية كبيرة وتختصر مساحات واسعة ومسافات كبيرة في الحياة، ولاسيما عند تلك الطبقات التي لم تستطع الأجناس الأدبية الأخرى أن تعكس حيثياتها، فغارت النادرة إليها تصور حياتها وسلوك أشخاصها، فهي بحق الجنس الأدبي الأكثر تواضعاً في تلك المدة من الأدب العربي القديم .

المبحث الخامس: الوصايا والمواعظ:

وهي من ألوان النثر التي عرفها العرب في الجاهلية، وتعني: قول حكيم صادر عن خبير يوجهه إلى من يحب لينتفع به، أو من هو أقل منه تجربة(٥٦). والوصية حاجة اجتماعية وإنسانية عامة، إذ جبل الإنسان على أن يكون كائناً اجتماعياً يعيش ضمن مجتمع يرتبط مع أفراده بعلاقات مختلفة ومتفاوتة، تنتظمها أنواع متباينة من العواطف الإنسانية، وهو الأمر الذي يحتم عليه أن يسعى إلى محاولة استنقاذ أولئك المقربين من مخاطر الوقوع في شرك الحياة وخشية التورط في كثير من الأوضاع المريبة، فيقدم لهم خلاصة تجاربه وعصارة مكتسباته وخبراته من خلال القول والحكي .

ثم أخذ هذا اللون من القول يكتسي ثوب الأدب وذلك من خلال اكتسابه جلباب اللغة الأدبية، حتى بات فناً أدبياً منتشراً، وقد بلغ هذا الجنس الأدبي أوج مكانته عند بزوغ الإسلام لتأثر الوصية والموعظة بمفاهيم الدعوة الإسلامية، فغدا القران الكريم -بما يحمله من مواعظ ووصايا ومفاهيم إنسانية- المثل الأعلى في الوصايا التي تضمن صلاح الدنيا والآخرة . والعصر الإسلامي حافل بالوصايا على اختلاف أشكالها وألوانها وأصنافها، وبعد ذلك -ونتيجة لاقترانها بالدين الإسلامي- أمست الوصايا والمواعظ على لسان رجال الدين والأمراء والسلاطين فضلاً عن الكتّاب والأدباء، وهناك أمثلة عديدة لهذا الفن في العصور اللاحقة للعصر الاسلامي، ولاسيما في العصر العباسي بعد أن أخذت الفنون الأدبية بالتطور والتجديد، ومنها الفنون النثرية(٥٧) .

وقد تناقل الأدباء وصايا الأمم السابقة والحضارات الأخرى فكانت وصاياهم حاضرة في متناول المجتمع العربي، وأسهمت في تطور هذا النوع من الفن الأدبي، كما جاء في (الأدب الكبير والأدب الصغير) لعبد الله بن المقفع. وقد قدّم كثير من الأدباء

جملة من الوصايا والمواعظ بين يدي الخلفاء والعامة والأهل والأصحاب وقد دارت تلك الوصايا حول مضامين دينية وتعليمية وسياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية عامة، تناولت مختلف جوانب الحياة بالتحليل، وقدمت خلاصة التجارب الإنسانية في علاجها وكيفية التعامل معها(٥٨) .

وهكذا أمست الوصايا والمواعظ فناً أدبياً يتخذ من اللغة وسيلة حينما يستنفر صاحب الوصية طاقاته اللغوية وإمكاناته المعرفية لينتج نصوصاً وعظية في المقام الأول، أدبية في المقام الثاني. "ولما كان الموصي حريصاً على ألّا يدخر شيئاً عن المتلقين، عرجت الوصايا على موضوعات شتى وميادين مختلفة، فكان منها الديني الذي ينظم العلاقات بين العبد وخالقه، وهذا النوع من الوصايا كثيراً ما ينهل من معين القرآن الكريم والسنة النبوية، مرغباً مرهباً. وكان منها الاجتماعي، الذي ينظم العلاقات الإنسانية العامة والخاصة، والتعاطي في شؤون الحياة، وكان منها السياسي الذي ينظم علاقات السلاطين وأولي الأمر برعيتهم من جانب، وينظم علاقات الرعية بهم من جانب آخر"(٥٩) .

والوصية –وهي فن أدبي- يشتمل على أجزاء، هي: المقدمة، وفيها تمهيد وتهيئة لقبولها، وموضوع، وفيه عرض الأفكار في وضوح وإقناع هادئ، وخاتمة وفيها إجمال موجز لهدف الوصية. ومن خصائص الوصية: أن تكون دقيقة العبارة وواضحة الألفاظ تتنوع جملها بين الخبر والإنشاء فضلاً عن الإيقاع الموسيقي وترتيب أفكارها .

وقد أفرد الإبشيهي باباً خاصة بالوصايا والمواعظ في كتابه المستطرف، وهو الباب الثاني عشر(٦٠)، أورد فيه كثيراً من الوصايا والمواعظ، استقاها من التراث العربي. استهل هذا الباب بآيات من الذكر الحكيم التي تتحدث عن الموعظة كما في قوله تعلى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ ﴿النحل ١٢٥﴾ . وقد ذكر الإبشيهي تسع عشرة وصية وموعظة في هذا الباب وكلها في موضوع الدين، نذكر منها على سبيل المثال: " ولما ضرب ابن ملجم -لعنه الله- علياً (عليه السلام) دخل منزله فاعترته عشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين (رضى الله عنهما)، وقال: أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، ولا تأسفا على شئ فاتكما منها، فإنكما عنها راحلان، افعلا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا، ثم دعا محمدا ولده وقال ...

يا بني ما شرّ الجنة بشرّ، ولا خير بعده النار بخير، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية، يا بني من أبصر عيبَ نفسه، اشتغل عن عيب غيره، ومن رضي بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بنيه، ومن نسي خطيئة استفطم خطيئة غيره، ومن أعجب برأيه ضلّ، ومن استغنى بعقله زلّ، ومن تكبر على الناس ذلّ، ومن خالط الأنذال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن جالس العلماء وقر، ومن مزح أسخف به، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه، قل ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار، يا بنى الحرص مفتاح التعب ومطية النصب"(٦١) .

من يتأمل هذه الوصية، التي لم نذكرها كلها؛ لأنها طويلة ولا يسع المجال لكلها بل آثرنا أن نقتطع منها ما يصلح ليكون مثالاً للوصية المشتملة على البناء الفني لأدب الوصايا من مقدمة وموضوع وخاتمة، فضلاً عن تميّزها بما تحويه من الخصائص الفنية للوصية، كدقة العبارة ووضوح الألفاظ، ففي قول الإمام(عليه السلام): (افعلا الخير، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً)، هناك دقة متناهية في نسق العبارة، وإيقاعاً بما تشتمل عليه من سجع وتناسب في تقابل الألفاظ والجمل، فضلا عن وضوح معناها. وكذلك فإن لقصر العبارات وإيجازها سمة بلاغية طالما حفلت بها الوصايا والمواعظ. وأيضاً التنوع والتوازن في إيراد الجمل الخبرية والإنشائية، مما ساعد على ترتيب الأفكار وتفصيلها بما يدعو إلى القناعة بالموعظة وهي الهدف العام من الوصايا. والسمة البارزة في وصية الإمام (عليه السلام) هي كثرة الأمثال والحكم التي جاءت لتناسب الموضوع بشكل كبير، نقرأ قول الامام (عليه السلام) : (من استغنى بعقله زلّ، ومن تكبر على الناس ذلّ، ومن خالط الأنذال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن جالس العلماء وقر، ومن مزح استخف به...) كلها عبارات جرت مجرى الأمثال والحكم .

على أن موضوعات الوصايا لم تقف عند السياسة أو الدين أو النصائح الاجتماعية، وإنما تعدى ذلك إلى النصائح الطبية، فتمازج فيها الموضوع العلمي بالأسلوب الأدبي، : "إياك أن تدخل طعاماً على طعام، ولا تمش حتى تعيا، ولا تجامع عجوزاً، ولا تدخل حماماً على شبع، وإذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء،

وعليك في كل أسبوع بقيئة، ولا تأكل الفاكهة إلا في أوان نضجها، ولا تأكل القديم من اللحم، وإذا تغديت فنم، وإذا تعشيت فامش أربعين خطوة، ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم ما فيها، وتستريح الكبد من حرارة المعدة، ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم، ولا تأكل بشهوة عينك بعد الشبع، ولا تنم ليلاً حتى تعرض نفسك على الخلاء إن احتجت إلى ذلك أو لم تحتج، واقعد على الطعام وأنت تشتهيه، وقم عنه وأنت تشتهيه.."(٦٢). فهذه كلها نصائح طبية تتعلق بصحة جسد الإنسان أوردت بأسلوب أدبي رفيع، وهذا ما يدلّ على أن الوصايا اشتملت على الموضوعات المتنوعة ولم تقتصر على موضوعات العلوم الإنسانية.

ويعد أدب الوصايا والمواعظ من الأجناس الأدبية التي تدل على الإلتزام بالأدب بما يحتويه من نصوص أدبية تحمل معان تدعو إلى ذلك بشكل مباشر، فهو فن قائم بذاته، استعان به أصاحب الدعوات للتأثير في الآخر، وإقناعه برؤى وأفكار صاحب الدعوات، فالنبي محمد(ﷺ) وهو صاحب أشرف الدعوات وأنبل القيم، يلجأ إلى هذا اللون من الفن ؛ لبث أفكاره وقيمه ومبادئ الدين الحنيف ، يقول (ﷺ) : "إذا مات لأحدكم ميت فأحسنوا كفنه، وعجلوا انجاز وصيته، واعقموا في قبره، وجنبوه جار السوء"(٦٣)، ومن وصية الإمام علي (عليه السلام) يوصي بها الصحابي أبا ذر الغفاري: "زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل، وغسّل الموتى يتحرك قلبك، وصلّ على الجنائز لعل ذلك يحزنك، فإن الحزين في ظل الله تعالى"(٦٤) .

والملاحظ على الوصيتين أعلاه، كثرة استعمال فعل الأمر، (أحسنوا، عجّلوا، اعقموا، جنبوه، زر، غسّل، صلّ) وهو أسلوب يلجأ اليه المتحدث من باب الإقناع والتأثير بالمستمع، وإن تلك الأفعال في الوصية الأولى، اقترنت بها واو الجماعة ؛ لأن الرسول(ﷺ) يتحدث إلى مجموعة من الناس، على حين أن الأفعال في الوصية الثانية جاءت مفردة ؛ لأن الإمام(عليه السلام) يوصي بها فرداً واحداً، وهذا يدل على أن الوصايا والمواعظ لا ترتبط بالمفرد لمن أراد تمييزها عن أدب الخطبة، وإنما يمكن أن تكون للمجموع، وفي كلتا الحالتين فإنها تشتمل على سمات تميزها لأن تكون فناً أدبياً قائماً بذاته له هويته التي تميزه من الأجناس الأدبية الأخرى .

الخاتمة:

وعند نهاية هذا الموضوع نكون قد انتهينا من بحثنا هذا، ليتأكد لنا أن الإبشيهي قد نوّع موضوعات كتابه (المستطرف) وضمنه أغلب الفنون النثرية المعروفة آنذاك، فضلاً عن الشعر الذي ملأ به صفحات كتابه؛ ليكون بذلك دالاً على عنوانه (المستطرف في كل فن مستظرف)، فهو حقاً تحفة ضمت من كل فن مستظرف نصوصاً مستطرفة، غاية في الإمتاع والمؤانسة، فضلاً عن الفائدة الأدبية التي من الممكن أن يحصل عليها كل من يطلع على الكتاب .

قسم الإبشيهي مواد كتابه على أربعة وثمانين باباً، وفرّع كثيراً من هذه الأبواب إلى فصول مما رفع عدد عناوين الكتاب إلى أكثر من (١٢٠) عنواناً يتحدث في كثير منها عن أكثر من موضوع، وكانت فنون النثر مبثوثة في ثنايا كتابه ، الأمر الذي يجعل إحصاء الموضوعات فضلاً عن النصوص النثرية التي تطرق اليها الكتاب عملية صعبة. وقد توخى الإبشيهي من هذا التفريغ أن يتمكن القارئ بسهولة من العثور على المعنى الذي يريده بالرجوع الى الباب الذي ينتمي اليه ذلك المعنى. إن الكتاب من هذه الناحية أشبه بمعجم للمعاني، يستقي منه القارئ ما يحتاج اليه من الأحاديث النبوية والأمثال الشعبية والألفاظ اللغوية والحكايات والنوادر والرسائل والوصايا، ومن والدقائق والأشعار.

فالكتاب ينتظم في سلسلة الكتب التي لم تنقطع بعد في الثقافة العربية.

والإبشيهي في كتابه هذا وما تضمنه من فنون أدبية متنوعة قد أسهم في تعويض المكتبة العربية بما تعرضت إليه من حرق وتدمير على أيدي المغول الغازين .

وفي نهاية بحثنا هذا لا يسعنا إلا أن نحمد الله تعالى بما وفقنا اليه أملين السعي للكتابة في موضوعات أخرى.. والله ولي التوفيق .

هوامش البحث

(١) المستطرف : ٣ .

(٢) أعلام الزركلي: دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ٢٠٠٢: ٣٣٢/٥.

(٣) ينظر: المستطرف: ٤.

(٤) بلاغة النادرة، محمد مشبال، منشورات نادي الكتاب، تطوان ، ط١، ١٩٩٨: ٨٠٧.

(٥) ينظر : النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مبارك، المكتبة العصرية، بيروت ،ج١، (د.ت):٥٠. وكذلك يذهب لهذا الرأي د.محمد عبد المنعم الخفاجي، ينظر: الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٩٥٢: ٧٨.

(٦) ينظر: في الأدب الجاهلي، د.طه حسين، مطبعة فاروق، القاهرة،١٩٣٣: ٣٦٩. وينظر: من حديث الشعر والنثر، د. طه حسين، مطبعة الصاوي، القاهرة، ط١، ١٩٣٦: ٢٤.

(٧) الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١٢،(د-ت) :١٠٤.

(٨) مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥: ٥٥٣.

(٩) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تحقيق: حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة ، ط١، ١٩٦٩ : ١٥٠.

(١٠) شعرية النص النثري، مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري، ابلاغ محمد عبد الجليل، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء،ط١، ٢٠٠٢ : ٢٨.

(١١)مكانة الأمثال في الأدب العربي، سيد إسماعيل الحسيني، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة، العدد التاسع، ٢٠١٢: ٢٦.

(١٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١ :١٨٩/١.

(١٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، دار أحياء الكتب الإسلامية، إيران، ٤٨٦/١.

(١٤) أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار صادر، بيروت، ١٩٨٧ : ٢/١.

(١٥) المستطرف، الباب السادس، الفصل الأول: ٣٨.

(١٦) م.ن : ٣٨ .

(١٧) م.ن: ٣٩ .

(١٨) القول لأبي إسحاق النظام ورد في: الأمثال في القران الكريم،ابن القيم الجوزية، تحقيق: سعيد محمد الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١ : ٣٣.

(١٩) المستطرف: ٤٠-٤١.

(٢٠) م.ن :٤١.

(٢١) م.ن :٤١-٤٧

(٢٢) أساس البلاغة، الزمخشري: مادة مثل .

(٢٣) المستطرف : ٤٧-٥٥ .

٢٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير(ت ٦٣٧هـ) ، تقديم وتعليق : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة : ١/ ٥٤ .

(٢٥) لسان العرب ، ابن منظور، مادة : رسل.

(٢٦) البرهان وجوه البيان : ١٧٢.

(٢٧) أحكام صنعة الكلام، الكلاعي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦ : ٩٦.

(٢٨) ينظر: تاريخ الأدب العربي-العصر الإسلامي، د.شوقي ضيف، دار المعارف، مصر: ١٢٩-١٣٦

وينظر: نقد النثر، نبيل أبو علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣ : ٢٦٧ وما بعدها.

(٢٩) المستطرف: ٦٢.

(٣٠) م . ن :٢١٨-٢١٩.

(٣١) م . ن : ٣٤٠.

(٣٢) م . ن : ٥٦٥.

(٣٣) م . ن : ٤٥٤.

(٣٤) لسان العرب : مادة(خطب) .

(٣٥) الخطابة لأرسطو، تعريب: د.ابراهيم سلامة، طبعة القاهرة، ١٩٥٠ :١/ ٩٠.

(٣٦) تلخيص الخطابة، ابن رشد، تحقيق: محمد سليم، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، مصر، ١٩٦٧: ١٥.

(٣٧) الخطابة وفن الالقاء ، د.اشرف محمد موسى، الخاجي، القاهرة، ١٩٧٨ : ٧.

(٣٨) ينظر: المصدر السابق: ٣٧.

(٣٩) ينظر: نقد النثر : ٢٧٩ .

(٤٠) ينظر: جمهرة خطب العرب، احمد زكي صفوت، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٣٣: ١/١٥٥-٢/٢٨٨.

(٤١) المستطرف: ٧٩ .

(٤٢) م . ن : ٧٩ .

(٤٣) م . ن :٦٦-٦٧.

(٤٤) م.ن :٦٧.

(٤٥) ينظر: المستطرف:٦٢-١٢٥، ٢٥٢، ٣٧٤-٥١٥ .

(٤٦) ينظر: الطرفة الأدبية هل هي في تراجع؟ حبيب بولس، مركز دمشق للدراسات الأدبية، سوريا، ١٩٩٥: ٦٨.

(٤٧) ينظر: كتاب القصاص والمذكرين، ابن الجوزي، تحقيق: د.محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨: ١٠-٢٢.

(٤٨) المستطرف: ٥٣٠ .

(٤٩) م.ن : ٥٣٠ .

(٥٠) م.ن : ٥٣١ .

(٥١) م.ن : ٥٣٢ .

(٥٢) م . ن : ٥٣٣ .

(٥٣) م.ن : ٥٣٤ .

❖ النواتية : النَّواتِيُّ الملاَّحُونَ في البحر ، وهو من كلام أَهل الشام ، واحدُهم نُوتيٌّ .

(٥٤) المستطرف : ٢٥ .

(٥٥) م.ن : ٣٨٧ .

(٥٦) ينظر: الوصايا في الادب العربي القديم، سهام الفريح، مكتبة المعلا، الكويت، ط١، ١٩٨٨: ١٨.

(٥٧) ينظر: التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، المبرد، تحقيق: إبراهيم الجمل، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر: ١٤٣-١٥٣.

(٥٨) ينظر: الوصايا في الأدب العربي القديم : ١٤٨-١٧٢.

(٥٩) الوصايا في الأدب الأندلسي، رسالة ماجستير، تقدم بها: حذيفة عبد الله عزام، إلى مجلس كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧: ٣٠.

(٦٠) المستطرف: ٩٩-١٠٦.

(٦١) م.ن: ١٠٠-١٠١.

(٦٢) م . ن : ٥٥٨ .

(٦٣) م . ن : ٥٥٩ .

(٦٤) م.ن: ٥٥٩ .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- أحكام صنعة الكلام، الكلاعي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦.

٢- الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي، دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٩٥٢

٣- أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار صادر، بيروت، ١٩٨٧.

٤- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢ .

٥- الأمثال في القران الكريم، ابن القيم الجوزية، تحقيق: سعيد محمد الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١ .

٦- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تحقيق: حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ط١، ١٩٦٩ .

٧- بلاغة النادرة، محمد مشبال، منشورات نادي الكتاب، تطوان، ط١، ١٩٩٨ .

٨- تاريخ الأدب العربي-العصر الإسلامي، د.شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، (د-ت).

٩- التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، المبرد، تحقيق: إبراهيم الجمل، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، (د-ت).

١٠-تلخيص الخطابة، ابن رشد، تحقيق: د.محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٦٧ .

١١-جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، احمد زكي صفوة، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٣٣.

١٢-الخطابة لأرسطو، تعريب: د.إبراهيم سلامة، طبعة القاهرة، ١٩٥٠.
١٣-الخطابة وفن الإلقاء، د.أشرف محمد موسى، مطبعة الخاجي، القاهرة، ١٩٧٨
١٤-شعرية النص النثري، مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري، محمد عبد الجليل، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢ .
١٥-الطرفة الأدبية هل هي في تراجع، حبيب بولس، مركز دمشق للدراسات الأدبية، سوريا، ١٩٩٥ .
١٦-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١ .
١٧-الفن ومذاهبه في النثر العربي،د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط١٢، (د-ت) .
١٨-في الأدب الجاهلي، د.طه حسين، مطبعة فاروق، القاهرة، ١٩٣٣ .
١٩-القصاص والمذكرين، ابن الجوزي، تحقيق، د.محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨ .
٢٠-لسان العرب، ابن منظور-دار صادر، بيروت، ١٩٤٨ .
٢١-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب الإسلامية، إيران، (د-ت)
٢٢-المستطرف في كل فن مستظرف، الإبشيهي، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، مصر، (د-ت) .
٢٣-مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الجديدي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥
٢٤-مكانة الأمثال في الأدب العربي، سيد إسماعيل الحسيني، مجلة دراسات الأدب المعاصر، س: ٣، ع:٩، ٢٠١٢ .
٢٥-من حديث الشعر والنثر، د. طه حسين، مطبعة الصاوي، القاهرة، ط١، ١٩٣٦.
٢٦-النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مبارك، المكتبة العصرية، بيروت (د-ت) .
٢٧-نقد النثر، نبيل أبو علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.
٢٨-الوصايا في الأدب العربي القديم، رسالة ماجستير، تقدم بها: حذيفة عبد الله عزام إلى مجلس كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧.